

مؤتمر الانحرافات الفكرية بين
حرية التعبير ومحكمات الشريعة

الإلحاد الأسباب والعلاج

أ.د. خالد بن عبد الله المصلح
المشرف العام على فرع الرئاسة بالقصيم
أستاذ الفقه بجامعة القصيم

أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الَّذي خلقَ السَّماواتِ والأرضَ، وجعلَ الظُّلماتِ والنُّور، أحمدُه حمداً كثيراً طيِّباً مُبارَكاً فيه، وأُصلِّي وأسلِّم على المبعوثِ رحمةً للعالمينَ، نبيِّنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد،

فإن قضية الإلحاد من القضايا الكبرى التي تشغل ذهن كثير من الناس على اختلاف عقائدهم وأجناسهم وبلدانهم، فهي وإن كانت قضية عقدية قديمة ضاربة في جذور التأريخ من حيث أصلها إلا أنها لبست في الإلحاد المعاصر الحديث ثوبا براقا يغلب عليه الجانب الشهواني أكثر من الجوانب الفلسفية والفكرية والاجتماعية، فاصطبغ الإلحاد المعاصر بالشهوانية وأكثر من كونها فكرة عقدية فلسفية، ولهذا تجاوزت فكرة الإلحاد دوائرها المعتادة الضيقة وهي النخب المتعلمة والمثقفة التي لها اهتمام بالعلوم التجريبية والإنسانية، فاجتاحت موضة الإلحاد المعاصر الشهواني بعض الشرائح المجتمعية التي لم يكن له سابق حضور في الزمن السابق، وهم شريحة الشباب الذي تغلب عليه الرغبة في الملذات والشهوات، وأصبحت الإباحية وتحطيم الحواجز المانعة من اللذائذ أكبر مسوق ومروج للإلحاد الحديث. ومن الجدير بالذكر التنبه إلى أن أصل فكرة الإلحاد هي إحدى نتائج العداء الشيطاني للإنسان، والذي بدت بوادرُها قبلَ أن تُنفخ الرُّوحُ في آدمَ، وذلك أنَّ الله تعالى لَّما صَوَّر آدمَ في الجنَّة، تركه ما شاء أن يترُكه، فجعلَ إبليسُ يُطيفُ به ينظُر ما هو، فلمَّا رآه أجوفَ عرَفَ أنَّه خُلق خلقاً لا يتمالكُ، فلا يملكُ نفسَه ويحبسُها عن الشَّهواتِ، ولا يملكُ دفع الوسواسِ عنه. ولهذا لَّما بَدَتْ أعلامُ العداوةِ بين إبليسَ وبني آدم، وظهرَ ما في نفسِهِ من العُلُوِّ والاستكبار، أقسم بما أخبرَ الله في كتابه: ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** (١٦) **ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ**

أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) ﴾ (الأعراف)، ومنذ ذلك الحين، وهو جاهدٌ في إغواءِ بني آدمَ بكلِّ سبيلٍ، بالشُّبُهاتِ تارَةً وبالشَّهواتِ تارَةً، وكانَ من أعظمِ إضلالِه، وأشدِّ سُبُل إغوائه، تشكيكُ الخلق بربِّهم، وما يقذفه من الوساوسِ في شأنِهِ، ومن ذلك ما أخبرَ به النَّبيُّ، فيما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يأتِي الشيطانُ أحدَكُم فيقولُ: مَن خلقَ كذا وكذا؟ حتَّى يقولَ له: مَن خلقَ ربُّك؟ فإذا بلغ ذلك، فليستعِذْ بالله، ولِيَنْتَهِ». وقد قال النَّبيُّ ﷺ لأبي هريرة: «لا يزالونَ يسألُونَكَ يا أبا هريرةَ، حتى يقولوا: هذا اللهُ، فمن خلق الله؟»، قال: فبينا أنا فى المسجد إذ جاءني ناسٌ من الأعراب، فقالوا: يا أبا هريرة، هذا اللهُ، فمن خلق الله؟ قالَ: فأخذ حصىً بكفِّه، فرماهُم ثم قال: قومُوا قومُوا، صدقَ خليلي. فلم يزلِ الشَّيطانُ يُلقي بوساوسه، في قلوب النَّاس، ألواناً من الضَّلالات وفاسدِ الظُّنون والخيالات. وكانَ أشنعَ ذلك ما ألقاه في قلوب أشقياءِ الخلقِ، من إنكارِ وجودِ الرَّبِّ، وهذا أعظمُ أنواعِ الكُفر بالله، وأقبحُ صُوره. وهو الَّذي قصَّهُ الله تعالى في كتابه عن فرعونَ القائل: ﴿**مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي**﴾، «وَهَذَا جحدٌ صَرِيحٌ لإله الْعَالمين»[1]. وكذلك قوله: ﴿**وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾، «فاستفهمَهُ استِفهامَ إنكارٍ، لا استفهامَ استعلامٍ»[2]، وهو أصرحُ مَن أخبرَ الله تعالى عنه بالجُحُود وإنكار الصَّانع، وإن كان قد يُشاركُه في ذلك النِّمرودُ الَّذي حاجَّ إبراهيمَ عليه السَّلامُ في ربِّه، أن آتاهُ الله الملك حيثُ قال: ﴿**أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ**﴾. «فهذا قد يُقال: إنَّه كانَ جَاحِدَاً للصَّانِعِ، ومع هذا فالقِصَّةُ ليست صريحةً في ذلك؛ بل يدعو الإنسان إلى عبادةِ نفسِه، وإن كان لا يُصرِّح بإنكار الخَالق مثلَ إنكار فِرعون»[3]، والمقصودُ أنَّ إنكارَ الخالقِ والكُفر بوجوده، لم يزلْ في النَّاسِ، منذ سَالِفِ الزَّمان، كما دلَّ عليه القرآن، ولمَّا كان هذا الكفرُ من أشنع الكُفر وأعظمِه مصادمةً للفِطرة وسائر

(١) جامع الرسائل لابن تيمية تحقيق رشاد سالم (١/ ٢١١).
(٢) الصفدية (١/ ٢٤٢).
(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٥٦).

الدَّلائل الحسِّيَّة والعقليَّة، كانَ وجودُه في النَّاس نادراً، وهو في البشــريَّة قليـلٌ إلى يومِنا هذا، فلم يزل أكثرُ مَـن في الأرضِ يَـدينون بـدينٍ، ويعتقـدونَ بوجـودِ ربٍّ يعبدونه، وإن كان منهُم طوائفُ غافلةٌ قـد أنهكـت الـدُّنيا قلـوبَهم واسـتحوذت عليها، فلا همَّ لهُ في الآخرة. وإنَّ العارفَ بأحوال النَّاس، يـرى أنَّ دائـرة الإلحـاد بصوره المختلفة سواء منها الغالي الذي ينكر وجود الله تعالى أو الـذي لا يكـترث بهذه القضية ولا يلتفت إليها قد توسَّعَتْ في الأزمنة الأخيرة، ولا سِيَّما في الشَّـرق الشُّيوعيِّ الَّذي ينتشر فيه الإلحادُ الماركسيُّ، الَّذي يبـتر صـلة الإنسـان بـالله، فـلا سُلطان له عليه، وقد لا يتوقَّف عندَ مسألة وجـود الإلـهِ مـن عدمـه، وكـذلك في الغربِ الرَّأسِمَاليِّ الَّذي ينتشرُ فيه الإلحادُ الوجوديُّ الذي يقوم عـلى فكـرة رفـض الاعتراف بسلطة الإله من أجل الحفاظ على الحريـة الإنسـانية[1]. وممـا فـارق فيـه الإلحاد الجديد المعاصر جذوره وأصوله وسلفه، أنَّه يقدم نفسه بثوب علمي بحثي وأنَّه نِتاجُ دراساتٍ وأبحاث، وكذلك يفارقه في أنه يقدم نفسه على أنه فكرٌ عـالميٌّ إنساني لا يرتبطُ بمذهبٍ أو بلدٍ. ولم يقتصرْ شَرُّ الإلحاد على هذين المُعَسكرين، بل تطايَرَت شظاياهُ في سائر بلدان الدُّنيا، فلم تَسلم بقيَّةُ البلدان من توسُّـع في دائـرة الإلحاد، وظهور فحيحه القبيح، وإن كان ذلك بنِسَبٍ متفاوتة تزيد هنـا وتـنقص هناك أو العكس[2]. وفي هذهِ الورقةِ سـأُحاولُ بعـونِ الله، كشـف أسـباب توسُّـع دائرةِ الإلحادِ في العصر الحديث، وذكرِ جملةٍ من مقترحاتٍ في سـبل العـلاج لهـذا التوسع تمثل سدودا مانعة تتكسر عليه موجات الإلحاد المعاصر الطـاغي وقـارب نجاة لمن جرفته أمواجه العادية. ولا ريـبَ أنَّ كِـلا الأمـرين تشخيصـا ومعالجـة جليلُ القدر عظيم النفع كبير الأثر، فتشـخيصُ الأسـبابِ طريـقُ حلِّهـا وسـبيلُ علاجها، ولهذا من الضَّروريِّ أن يَعِـيَ كـلُّ خـائضٍ في هـذا الأمـر، أنَّ الخطـأ في

(١) إلـه الإلحـاد المعـاصر ص (ا-ج)، مـوت الـرب ومـوت الأب، «دراسـة في الإلحـاد الوجـودي»، -نيتشـه ودوستويفسكي نموذجين-، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، عدد ١٩ لسنة ٢٠١٠.

(٢) الإلحاد الجديد يخترق حصون الإسلام http://www.alukah.net/sharia/0/69557/.

تشخيص أسباب هذا التَّوسُّع سيقود إلى خطأ في المعالجة غالباً. وغيرُ خافٍ على المتابع أنَّ هذا الموضوع قد تناوله كثيرونَ، ذوو اختصاصاتٍ متعدِّدةٍ، وبطرائقَ شتَّى، ومِن أبرز ذلك: «الإسلامُ يتحدَّى» لوحيد الدِّين خان، وكذلك «مليشيا الإلحاد» لعبدالله العجيري، وكتاب «حوارٌ مع صديقي الملحد»، وكتابا «خرافة الإلحاد»، و «وهم الإلحاد» لعمرو شريف، وكتاب «كهنة الإلحاد الجديد» لعبدالله الشِّهريِّ، وهناك العديدُ من المواقع الإلكترونيَّة التي تناولت قضيَّة الإلحاد بالدِّراسة، من أبرزها موقع «براهين»، وهو موقع متخصِّص في الإلحاد. وغيرها كثير، وقد جمع الباحثُ سلطان العميري في مقاله «المادَّة النَّقديَّة للفكرة الإلحاديَّة»، قدراً كبيراً من المؤلَّفات والأبحاث الَّتي احتوت مادَّةً علميَّة فكريَّة غزيرة، لتشخيص الإلحاد وإبطاله[1]. وسأُحاول في هذه الورقةِ إبرازَ أهمِّ أسبابِ المشكلة، وكذلك مُهِمَّات خطوات معالجتها. وذلك في مبحثين، فأسأل الله السَّداد والتَّوفيق.

(١) موقع صيد الفوائد https://saaid.net/mktarat/almani/m/10.htm.

المبحث الأول
أسبابُ توسُّع دائرةِ الإلحاد المعاصر

الإلحادُ ليسَ ضلالةً بشريَّةً حديثة، بل هي ممَّا زاغت به قلوبُ فئامٍ من النَّاس قديما، إلا أنَّ هذه الضَّلالة راجت سوقها في هذه العصور المتأخِّرة، فاجتالت قلوبَ كثيرٍ، وصرفتهم عما فُطِرَت عليه القلوب، وسأُشير في هذا المبحث، إلى أبرز العوامل التي أدَّت إلى توسُّع دائرة الإلحاد الظَّاهرة، في النِّقاط التَّالية:

أولاً: الإلحادُ يخدم مصالحَ قوىً سياسيَّةٍ ذاتِ ثُقل في العالم؛ لذلك سُخِّرت لنشرِهِ ودعمه وتسويغه، وتوسيعِ دائرتها، إمكاناتٌ متنوِّعةٌ مادِّيَّةٌ وإعلاميَّة، بل وتطبيعه وحمايته وتذليل سبل انتشاره من خلال نظم وقوانين وتشريعات أممية ودولية[1].

ثانيا: ظهور الشُّيوعيَّة التي دعا لها كارل ماركس، وهي وإن كانت رؤيةً اقتصاديَّةً في الأصل، تستهدف معالجةَ المظالم الرَّأسماليَّة الفرديَّة، إلا أنَّ هذه الفكرةَ الاقتصاديَّة اصطبغت بصِّبغة عقائديَّة تجاوزت المعالجة الاقتصاديَّة، فتبنت فكرةَ أنَّ الحياة مادَّة، وكلُّ ما عدا ذلك من الغيبيَّات هراءٌ لا حقيقةَ له، بل هو عائق أمام كل بناء وتقدم. ولقد كان للنَّجاح الذي أحرزته الشُّيوعيَّة -بسبب شِعاراتِها الدَّاعمة للفقراء والطَّبقات الكادحة، والمطالبة بتحقيق العدالة الاجتماعيَّة، ومن خلال الثَّورة البُلشفيَّة في روسيا، والاستيلاء على الحكم- أثرٌ بالغ في نشر الإلحاد، وانتقاله ليُصبح مذهباً عالميًّا تتبنَّاه دولٌ كروسيا والصِّين وأوربَّا الشَّرقيَّة وغيرها، وتحالفاتٌ كحِلف وارسو المنحل[2].

ثالثا: الإرثُ الاستعماريُّ البغيض، الَّذي دعم كلَّ عوامِل انسلاخ المسلمين عن دينهم، ولذلك قيل: الاستعمارُ هو أبو الإلحاد وأمُّه، وهو فاتحُ أبوابِه، ورابطُ

---

(١) صراع مع الملاحدة حتى العظم ص (٦٣).

(٢) ينظر: خلاصة العتاد في مواجهة الإلحاد ص (٤٧). الموسوعة العربية (٨/ ٤٨٩).

أسبابِه[1]. والحقيقةُ أنَّ الاستعمار ساعد في إيجاد البيئةِ التي تُشجِّع على كلِّ خروجٍ عن دين الإسلام، عقيدةً وسلوكاً، في أيِّ اتجاهٍ كان. وذلك من خلال إشاعة فكرة فصل الدِّين عن حياة النَّاس، وهي ما يُعرفُ بنشر قيم العلمانيَّة اللائكيَّة الكلية الَّتي عزلت الدِّينَ عن الحضور في حياة النَّاس وعلاقاتهم، وحصرته في جوانب اختياريَّة ضيِّقة. ولذلك لا عجبَ في أن تُعَدَّ العلمانيَّة هي الأرضُ الخصبة والبيئةُ الحاضنة للإلحاد[2]. وشاهد ذلك أنَّه لَمَّا عمَّت العلمانيَّةُ البلادَ الأوربيَّة، أنتج ذلك انتشار الإلحاد بجميع صوره وأشكاله، في حياة الغربيِّين[3].

رابعا: العولمةُ ومنتجاتها التي سوَّقت كثيراً من الأَفكار المنحرفة التي شجَّعت على التَّمرُّدِ على الدِّين والقِيم والمبادئ والأصول، بدعوى تشجيعِ الفكر والإبداع وحرِّيَّة التَّعبير والتَّنوير. وكذلك ما أنتجته العولمةُ من انفتاحٍ واسع، أزال الحواجزَ الَّتي كانت تُمثِّلُ نوعاً من الحصانةِ والوقايةِ أن يُورَد مُمرِضٌ على مُصح، فسهَّل ذلك انتقال كثيرٍ من الأفكار الإلحاديَّة والتَّواصل المباشر معهم، عبرَ نشر الكتب والرِّوايات الَّتي تدعو إلى الإلحاد أو تقودُ إليه، فكلُّ ذلك مركَبٌ ذَلول موصل إلى الإلحاد؛ أو أُحبولةٌ للإلحاد، فلا يلزم بالضَّرورة أن يُقدَّم الإلحادُ في صورة صريحة، إلا أنها تقرِّب الناس إلى باب الإلحاد، أو تختصر لهم المسافة، ومن ذلك تستُّر الإلحاد بمصطلحات برَّاقةٍ، كالبُحوث العلميَّة والدِّراساتِ الإنسانيَّة[4].

خامساً: الانبهارُ بالجانب المادِّيِّ للحضارة الغربيَّة ومنجزاتها، ممَّا صيَّرَها مرجعاً فكريَّاً ثقافيَّاً لكثيرٍ من المنبهرين بها، وسهَّل نشرَ القيم الغربيَّة، والتَّغريبَ الفكريَّ والسُّلوكيَّ، قال الشَّيخ محمَّد رشيد رضا، وهو يرصد هذه الضَّلالة، وأثرَ الاستعمار والتَّغريب في تقويتها: «من المعلومِ بالاختبار، أنه قد كثر الإلحادُ

(١) الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ١٥١).

(٢) الإبراهيمي - الآثار (٣/ ١٢٨).

(٣) ينظر: خلاصة العتاد في مواجهة الإلحاد ص (٤٧).

(٤) الدعاوات الإلحادية وسائلها وخطرها وسبل مواجهتها د. عوض الركابي، صحيفة صوت الانتباهة.

والزَّندقة في الأمصار التي أفسدَ التَّفرنجُ تربيتَها الإسلاميَّة وتعليمَ مدارسها»[1].

وشجَّع ذلك نشرَ عقليَّةِ الإلحادِ والشَّكِّ في الله وإنكار الرُّوح، ونسيان الجزاء الأخرويِّ، والوقوف عند حدود الكون المادِّيِّ المحسوس[2]، فصدق فيها قولُ الحقِّ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: ٧)

سَادساً: التَّخلُّف الحضاريُّ الجاثم على العالم الإسلاميِّ في الجملة، حيث يربطُ المروِّجون للأفكار المنحرفة ومنها الإلحاديَّة ذلك، بأنَّه ثمرةُ التَّديُّن ونتيجةُ الالتزام بتعاليم الدِّين، «فعندما يُقارِن الشَّبابُ المنبهر بالغرب، بين تقدُّم الغربيِّين الكفار وتحضُّرهم وترقِّيهم في مدارج العلوم والحكمة، وبين تخلُّف بني قومه من المسلمين وتأخُّرهم وانحطاطهم، قد تكون هذه المقارنةُ دافعًا له، لفقدان الثقة في قدرة الإسلام على تحقيق التَّقدُّم والنَّهضة، وبالتَّالي الكفرُ به بالكلِّيَّة»، وغيرُ غائبٍ أنَّ ذاك الإيحاءَ المتكرِّر والتَّصريح المجترئ الظالم، بأنَّ هذه الحالةَ التي تُخيِّم على أكثر العالم الإسلاميِّ، من التَّخلُّف والفَقر والضَّعف العسكريِّ والسِّياسيِّ والاقتصاديِّ والمعرفيِّ، هو نِتاجُ دين الإسلام، وثمرةُ تعاليمه؛ يُروَّج له بإسقاطاتٍ ماكرة، فيُقال: إنَّ الحضارة الغربيَّة، إنَّما انطلقت شرارتُها وبدأت جذوتُها، عندما تخلَّصَت أوربا من سَطوة التَّديُّن الذي عاقَها عن الحضارة والارتقاء، ونبذت تعاليمَ دينها وراءها ظِهرِيًّا، فتقدَّمت وملكت القوى المادِّيَّة.

سابعاً: ما أحدثته الثَّورةُ الصِّناعيَّة من تغييرٍ في حياة النَّاسِ، على ظهر الأرض، ونشر الرَّفاهيَّة والرَّخاء، فصرف كثيراً من النَّاس عن العقائد الدِّينيَّة، وآمنوا بالعلم المادِّي كإلهٍ جديد، قادر على أن يُذلِّل لهم كلَّ الصِّعاب على هذه الأرض، بل أطمعهم هذا الإلهُ المادِّيُّ أيضاً في الوصول إلى الكواكب الأخرى، وتسخيرها في خدمة الإنسان، وهكذا ساعد اقترانُ العلم المادِّيِّ والكشوف الجديدة بالإلحاد، على ظنِّ النَّاس أنَّ العلم ثمرةٌ ونتيجة للإلحاد، وكان هذا خطأً

(١) تفسير المنار (١٠/ ٤٤٢).

(٢) يُنظر: خلاصة العتاد في مواجهة الإلحاد ص (٥٠).

عظيماً عمَّت بسببه موجةُ الإلحاد»[1]، ولذلك تدثَّر كثيرٌ من دعاة الإلحاد بالاعتناء بالدِّراسات والأبحاث التَّجريبيَّة؛ ليُوهِموا بأنَّ ما توصَّلوا إليه، من إنكار الخالق، تسانده الأدلة، ويتَّسق مع نتائج العلوم الطَّبيعيَّة التَّجريبيَّة، بل غدا الإلحادُ في عيون المخدوعين به، علماً ومنهجَ حضارةٍ وفلسفةٍ يُبشَّر بها[2].

ثامناً: تجنيدُ بعض أبناء الأمَّة ممَّن يتكلَّمون بألسنتها، ويتظاهرون بالنُّصح لها؛ للتَّرويج للإلحاد والتَّسويغ له والتبرير، والنَّقد للدِّين والتطاول على الثوابت والتَّشويه للإسلام ورجالاته وتأريخه، بدعوى حرِّيَّة التَّعبير وتنوُّع وجهات النَّظر، وإفساحُ المجال للرَّأي والرأي الآخر.

تاسعاً: تبنِّي كلِّ الأفكار والشَّخصيَّات والمراكز والمعاهد التي تُروِّج للإلحاد، وتدعو إليه وتشجِّع عليه، ومناصرتهم والدفاع عنهم وإمدادهم بكلِّ دعمٍ مادِّيٍّ أو معنويّ[3].

عاشراً: حالةُ التَّشرذم والتَّشظِّي التي مزَّقت الأمَّة وفرَّقتها شِيَعًا وأحزاباً، وسلَّطت بعضها على بعض، إمَّا عرقيًّا أو طائفيًّا أو حزبيًّا، فقتل بعضُهم بعضاً، وتسلَّط بعضُها على بعض. فخدموا الأعداءَ وحقَّقوا لهم مكاسبَ لم يحلموا بها، وقد استغلَّ هذا كلَّه الملحدون، لتشويه الدِّين وتنفير النَّاس من التَّديُّن، واجتذاب فئامٍ من النَّاس إليهم[4].

الحادي عشر: التَّأخُّر في مواجهة ضلالة الإلحاد، وردِّ شُبَهِهِ بالحُجَج المبطلة له، والمُبيِّنة لتهافته، بخطابٍ عصريٍّ مقنع، ودلائل علميَّةٍ رصينة. فبقيت جملةٌ من التَّساؤلات الوجوديَّة والفلسفيَّة المعاصرة التي يتكئ عليها دعاةُ الإلحاد، دون إجابات مقنعة تكشف زَيفها وتُبيِّن تهافتها، فالإلحادُ لا ساقَ له الا الهوى والجهل.

---

(١) انظر: الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق.

(٢) ينظر: ميليشيا الإلحاد لعبد الله العجيري ص (٨٤، ٩٣)، عصرُ الإلحاد خلفيَّته التاريخية وبداية نهايته، http://articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=1800.

(٣) انظر: ميليشيا الإلحاد لعبد الله العجيري ص (٣٥، ٣٩، ٧٧).

(٤) انظر: http://www.alukah.net/sharia/0/74827/#ixzz3s8L3RIHQ.

لذلك من الضَّروريِّ مواجهةُ تلك الشُّبَهِ والإجابةُ عنها وتوضيحها؛ كمسألة القدر، أو وجود الشَّرِّ، ونحوِ ذلك من القضايا المتعلِّقة بوجود الإنسان، أو أفعالِ الله تعالى القدريَّة[1].

الثَّاني عشر: كلُّ صور التَّديُّن المغلوط والمنقوص، كانت عاملاً رئيساً في دعم الإلحادِ وفُشُوِّهِ، ولا يقتصر هذا على نمطٍ أو صورةٍ، بل يشترك فيه كلُّ الانحرافات الدِّينيَّة، فالإرهابُ والغلوُّ مثلا، أظهرَ الدين بأنه مِعْوَل هدمٍ للبشريَّة، لا عامل بناء. فعلى سبيل المثال التَّطرُّف الَّذي تبنَّاه تنظيم الدولة «داعش» والَّذي جسَّده من خلال أطروحاته الغالية، وممارساته المنحرفة، استغلَّته الجهاتُ الإلحاديَّة لتشويه الدِّين والتَّنفير منه، حتى غدا ذلك الانحرافُ عاملاً منفِّراً طارداً عن الدِّين إلى كلِّ ما يُضادُّه، وأبرزُ ذلك الإلحاد[2]. ومن جانبٍ آخر فُشوُّ التَّديُّن الخرافيِّ، كالتَّصوُّف الغالي والتَّشيُّع الجافي، كان له أثرٌ كبيرٌ في فُشوّ الإلحاد؛ لأنهم لا يرَون الدينَ الا ما في هذه العقائدِ المنحرفة، من ضلالاتٍ تُنافي العقلَ الصَّحيح[3]. فمهَّد ذلك كلُّه «السَّبيلَ لدخول الإلحاد على النُّفوس، وهيّأ النُّفوس لقَبول الإلحاد، ومُحَالٌ أن ينفُذ الإلحادُ إلى النّفوس المؤمنة؛ فإنَّ الإيمانَ حِصنٌ حصين للنُّفوس التي تحمله، ولكنَّ الضَّلالات والبِدَع ترمي الجِدَّ بالهُوَينى، وترمي الحِصانة بالوَهْن، وتَرمِي الحقيقةَ بالوَهم، فإذا هذهِ النُّفُوس كالثُّغور المفتوحةِ لكلِّ مُهاجم«اهـ[4]». وهذا الأمرُ هو أعظمُ البواعثِ لكثير من عُقلاء العصر على عدم الإسلام؛ لأنَّهم يتوهَّمون أنَّ الإسلامَ هو ما عليه هؤلاء المُتصوِّفون وأضرابهم، فإذا تدبَّروا ما هم عليه، وجدوا جَهَالاتٍ وخُرَافاتٍ، ومُحَالاتٍ ودجلاً ومَكرًا، لعلَّه يفوقُ ما عند رُهبان النَّصارى، وطواغيتِ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: داعش تخلق الإرهاب والإلحاد، تومس فريدمان، http://www.cairolive.com/zahma/?p=16068.

(٣) المرجع السابق (١/ ١٩٥).

(٤) الآثار (٤/ ٢٠٢).

المُشركين، بل إنَّ هذا الأمرَ نفسه قد وَرَّطَ كثيرًا من عقلاء المسلمين في الإلحاد الصَّريح، وهذا الوباءُ يتفشَّى بسرعة مخيفة»اهـ[1].

الثَّالث عشر: طغيانُ الشَّهَوات، فَيَفِرَّ المُتورِّطُون فيها الَّذين تشرَّبَتها قلوبُهم إلى الإلحاد؛ للتَّخلُّص من القُيود الَّتي تحول بينهم وبين تلك المَلَذَّاتِ، وتُذهبُ عنهم ألم المخالفة لتلك الشَّرائع، فيكون الإلحادُ أداةً تفتح له أبوابَ الشَّهَوات، وملاذاً يحميه من لهيب المعصية وألم مُقَارفتها[2].

(١) آثار الشيخ عبد الرحمن المعلمي (٣/ ٩٤٦).

(٢) الدعاوات الإلحادية وسائلها وخطرها وسبل مواجهتها د. عوض الركابي، صحيفة صوت الانتباهة.

المبحث الثَّاني
طُرُق معالجة التوسع في دائرة الإلحاد

ضلالةُ الإلحاد بمفهومه الخاصِّ، وهو إنكارُ وجود الله، وكذلك ما يـدور في فلكه من طرائق الإلحاد وسبله كلها قائمٌة على نقضِ أصل الإيمان وأساسه الأصيل وقاعدته الكبرى، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر؛ لهذا كانت العنايةَ بمعالجة هذه الضلالة الكبرى التَّصدِّي لها، والبحثَ عن وسائل مدافعته وسبل إبطالها من آكد الواجبات، وأهمِّ المُهِمَّات. ومن نافلة القول أنه ليس ثمَّة دينٌ أقوى ولا كتابٌ أجلى في تقويضِ الإلحاد وإبطال شُبَهَهَ من نور الإسلام وهدايات القرآن، ففي الإسلام من الضياء ما يحرق تلك الضلالات وفي القرآنِ من الحُجَج المبطلة لتخليطات الملحدين والبراهين الفاضحة لانحراف فطرهم وعمى بصائرهم، فما أجدر ذلك النور المبين والهدى القويم بالإبراز، وما أحراه بالإشهار والإظهار. ولا غرو فإن القرآنُ الحكيم أَسَّسَ منهجاً رصيناً وطريقا قويما في الـرَّدِّ على كلِّ الضَّلالات وأنواع الانحرافات، وكان قد سلك في معالجة ذلك أساليبَ متنوِّعة وطرقاً عِدَّة، ولم يحصر ذلك في طريق معيَّنة؛ بل كلُّ سبيلٍ يُقيم الحقَّ ويرُدُّ الباطلَ، فإنَّه مأمورٌ به في قوله تعالى: (وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ). وفي سِيَاق معالجة الإلحاد المعاصر، ذكر الباحثونَ جملةً من سُبُل العلاجِ والحدِّ من توسُّع دائرة الإلحاد، وسأُجمل فيما يلي أبرز تلك السُّبل:

أولاً: تعريةُ الأسس الَّتي يقوم عليها الإلحادُ، وبيان تهافتها، وأنَّها ضلالةٌ قائمةٌ على الجهالة والظُّنون الكاذبة والخيالات الفاسدة، فقد ردَّ اللهُ تعالى على المُلحِدين الدَّهريَّة الأوائلِ بذلك، فقال تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾ (الجاثية: ٢٤). فواجَهَهُم بحقيقةٍ كشفت ما هم عليهِ من غَطْرَسَة المعرفة ووَهْم العلم، فما هم عليه عارٍ عن كلِّ معرفةٍ وعلم. ولذلك فإنَّ مطالعةَ ما كتبه أساطينُ الإلحاد وكبارُ منظِّريه تكشف أن بضعتهم لا تعدو كونها شكوكا وأوهاما وشبهات، فلا تَجِدْ لديهم «دليلاً واحداً صحيحاً ينفي وجود الخالق جلَّ وعلا! رغمَ الجُهود الكبيرة الَّتي بذلُوها للإقناع بمذهبهم، بل لم نجد في كلِّ ما كتبوه

دليلاً واحداً يقوم ظنَّاً بعدم وجود الخالق، فضلاً عن تقديم حقيقةٍ علميَّة في هـذا الموضوع، فجلُّ ما لديهم مُحاولاتٌ للتَّشكيك بعالم الغيب، والتزامٌ بأن لا يُثبتوا إلا ما شاهدوه من مادَّةٍ، بالوسائل العلميَّة المادِّيَّة»، وحقيقة هذا الموقف «يُشبه موقفَ الأعمى الَّذي يُنكر وجودَ الألوانِ؛ لأنَّه لا يَرَاهَا! أو موقفَ الأصـمِّ الَّـذي يُنكـر وجودَ الأصواتِ؛ لأنَّه لا يسمعُها! أو موقفَ الحمقاء حبيسةَ القصـر، التي تـرى أنَّ الوجودَ كلَّه هو هذا القصر الَّذي تعيشُ فيه؛ لأنَّها لم تُشاهِدْ في حياتِها غيرَه!»(١).

ثانياً: تَفنيدُ ضلالتهم بالحُجَّة والبرهان، وقد أقام اللهُ دلائلَ لا حصرَ لها تـدلُّ عليه، فإبرازُها وبيانُ تنوُّعِها وكثرتها، تدحض أباطيل الملحدين.

ثالثاً: إبرازُ ما كتبهُ العائدون من أسـاطين الإلحـادِ، الَّـذين ألجـأتهم الـدَّلائل والبراهين إلى الإقرارِ بالله والإيمانِ بوجودِ الله، وهم غيرُ قليلٍ، فكثيرٌ ممَّن تورَّطَ في هذا الضَّلال أبصرت عينهُ الحقيقةَ، فرجع عن هذه الضَّلالة، ومن ذلك على سبيلِ المثال الفيلسوفُ البريطانيُّ أنتوني فليو، الَّذي ألَّف كتابه «هنـاك إلـهٌ» وقـد ترجمـه الدُّكتور عمرو شريف، بعنوان «رحلة عقل»(٢)، وكذلك كريسي موريسون، فلقـد كان من كبار المنظِّرين للإلحاد، ثم رجع عنه وكتب كتابـه الشـهير «العلـم يـدعو للإيمان»(٣)، وهو كتابٌ ردَّ فيه على بعض الملحدين، ومِمَّـا قالـه في كتابـه هـذا: «إنَّ تقدُّم الإنسانِ من الوِجْهة الخُلُقيَّة، وشعورُه بالواجب، إنَّما هو أثرٌ من آثار الإيـمانِ بالله».

وقال: «إنَّ غزارة التَّديُّن لتكْشِفُ عن روح الإنسان، وترفعُه خطوةً خطـوةً، حتَّى يشعرَ بالاتِّصال بالله، وإنَّ دعاءَ الإنسان الغريزيِّ لله بأن يكون في عونـه هـو أمرٌ طبيعيٌّ، وإنَّ أبسطَ صلاةٍ، تسمو به إلى مقرَبةٍ من خالقه».

وقال: «إنَّ الوقارَ، والكـرمَ، والنُّبـلَ، والفضـيلةَ، والإلهـامَ، لا تنبعـثُ عـن الإلحاد».

وقال: «بدونِ الإيمانِ كانت المدنيَّة تُفلس، وكان النِّظامُ ينقلب فوضى، وكـان كلُّ ضابطٍ، وكلُّ كبحٍ يضيع، وكان الشَّرُّ يسود العالم؛ فعلينا أن نَثْبُتَ على اعتقادنا

(١) صرع مع الملاحدة (ص٨٩).
(٢) الإلحاد الجديد يخترق حصون الإسلام http://www.alukah.net/sharia/0/69557/.
(٣) نسخة من الكتاب http://uqu.edu.sa/files2/tiny_mce/plugins/filemanager/files/4150126/alelmyadolileman.pdf.

بوجود الله وعلى محبَّتِه».

وقال: «وما دامت عقولُنا محدودةً؛ فإنَّنا لا نقدر أن نُدرك ما هو غيرُ محـدودٍ، وعلى ذلك لا نَقدِر إلا أن نُؤمن بوجود الخالق المُدَبِّر الَّذي خلقَ الأشياءَ بـما فيهـا تكوينُ الذَّرَّات، والكواكبِ، والشَّمس».

ثالثاً: مُراجعةُ أساليبِ الخِطابِ الدِّينيِّ، في ظلِّ هذه المُتغيِّرات، سواء منها مـا كان في تقرير العقائد أو كان منهـا في تقريـر الأحكـام أو مـا كـان منهـا في سـياق الوعظ والتذكير. وآكد ما ينبغي ملاحظتـه في ذلـك الجمـعُ بـين خطـاب القلـب والرُّوح، وتلبيةُ حوائج العقل والفكر، في توازنٍ يُعطي كلَّ جانبٍ حقَّه بما يُناسبه.

رابعاً: العنايةُ بإبرازِ الحِكَمِ والعِلَلِ والغاياتِ، في بيـانِ الأحكـام الشَّــرعيَّة، والمبادرةُ إلى تقديم الحُلول المناسَـبة لأزَمـات العصــر، مـن خـلال نُـور الـوحي ومقاصده الكبرى وقواعده المحكمة. ولهذا «لا بدَّ أن تُطَعَّم الأدلَّةُ الشَّــرعيَّة مـع ناقصِ الإيمان بدليلٍ من العقل ليقتنع، ولهذا تجدون القرآنَ مملوءًا بالأدلَّة العقليَّة؛ لأنَّه يُخاطب قومًا ليس عندهم من الدِّين ما يحملُهم على قبول الحـقِّ مـن الكتـاب والسُّنَّة»[1]. فإنَّ «من النَّاس من لا يكتفي بالأدلَّة الشــرعية، بـل يحتـاج أن تُسـند الأدلَّة الشَّرعيَّة عنده بأدلَّةٍ عقليَّة، ولهذا يَستدلُّ الله سبحانه وتعالى في آيـاتٍ كثـيرةٍ بالأدلَّة العقليَّة، على ما أوحاه إلى نبيِّه من الأدلَّة الشَّرعيَّة»[2].

خامساً: التَّأكيد على أنَّ الدِّين الصَّحيح ركيزةٌ أساس في بناء الحياة البشــريَّة السَّويَّة الَّتي تُحقِّق العدالة والكرامة والتَّنمية، وتوجيه تحصيل مصالح الناس وكلَّ ما يصبو إليه البشرُ من حياةٍ طيِّبةٍ هنيَّة، فدين الإسلام لا يتعـارض مـع منتجـات العصر التي تبني الإنسان لا تتنافى مع مُعطَيات العلم الصحيح، بل إنه يشجع على تحصيل أسباب الرقي المادي والتقدم الحضاري، والضرب بسهم في بناء الإنسانية وتحقيق عمارة الأرض.

سادساً: التَّحذير من مناهج الغلوِّ والتَّطرُّف والإرهاب، وبيانُ براءة الإسلام منها، وعظيم تحذيره من التَّورُّط فيها. وبيانُ ما مارسه الملحدون من غلوٍّ وتطرُّفٍ وإبادةٍ لمن خالفهم، والإرهاب الَّذي مارسوه ولا زالوا يُمارسونه في البلدان الَّتـي

---

(١) لقاء الباب المفتوح (٦٦/ ١٣).

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/ ٧٦٢).

لهم فيها سطوةٌ، كالصِّين وروسيا وما دار في فلكهما من الأنظمة والدُّول.

سابعاً: إبرازُ محاسن الإسلامِ عقيدةً وشريعةً، وما قدَّمه للبشريَّة من خيراتٍ ومنافع، منذ ظهوره إلى يومنا الحاضر. وهذا من أقوى ما يفندُ الشُّبُهات والتَّشويهات الَّتي يُثيرها أعداءُ الإسلام وخصومه، تجاه الإسلام عقيدةً وشريعةً وأمَّة.

ثامناً: العملُ على إنشاء مراكزَ بحثيَّةٍ مُهتمَّةٍ بالقضايا الفلسفيَّة والفكريَّة المعاصرة، ودعم القائم منها علميًّا ومادِّيًّا وإعلاميًّا ومعلوماتِيًّا. وحث أصحاب رؤوس الأموال على البذل السخي في مثل هذه المشاريع سواء من الصدقات أو من الزكوات أو من الأوقاف أو من الوصايا.

تاسعاً: بناءُ مناهجَ علميَّةٍ شرعيَّةٍ وتعليميَّةٍ، تسهم في صياغة عقلٍ ذي حِصانةٍ ترُدُّ أباطيلَ الملحدين، وتنحسر أمامه شُبُهَاتُ الإلحاد وما يُشاكلها من الضَّلالات.

عاشراً: العنايةُ بالنَّشءِ تربيةً وتأسيساً، من خلال تضافر جهود كلِّ الجهات المُشاركة في التَّربية وبناء جيل واعٍ محصن فكرياً، وهذا مسؤولية مشتركة يتحملها كل الجهات ذات العلاقة بالنشء ابتداءً من الأسرة الَّتي هي اللَّبِنَة الأولى لكلِّ عمليَّةٍ تربويَّةٍ ناجحة، مشاركة مع دور التعليم ووسائل الإعلام والمحاضن الشبابية المتنوعة وغيرها من الجهات الفاعلة(١).

الحادي عشر: تكثيفُ الحضور العلميِّ المؤصّل للشَّخصيَّات العلميَّة وذات التَّأثير الفاعل، لردِّ شُبَهِ الملحدين، وتبصير النَّاس بضلالهم عبرَ كلِّ الوسائل المؤثِّرَة، ومنها وسائلُ الإعلامِ المتنوِّعة الحديثة والتَّقليديَّة.

هذه بعض الومضات العَجلى حول الإلحاد الحديث أسبابه ومعالجاته، وهو موضوع غاية في الأهمية وبحاجة إلى دراسات أكثر عمقا لتشعب الجهات المتصلة بهذه الظاهرة، ولقوة الدعاية التي تروج له وتدعو إليه. أسأل الله التوفيق والسداد للجميع.

---

(١) الإبراهيمي ـ الآثار (١/ ١٩٥).